تاريخ صناعة الورق في العالم الإسلامي
مابين القرن الأول والثالث الهجري/ السابع والثّامن الميلادي

د./ علي شعوى
جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي

الملخص:

يرجع اكتشاف الورق إلى ظهور الكتابة، لأن الكتابة تتطلب وجود أدوات لتدوين هذه المعلومات، ومن هذه الأدوات نجد القلم والحبر والمادة التي يكتب عليها، مع العلم أن قبل ظهور الورق كانت شعوب العالم تكتب على عدة وسائل منها، حيث كان المصريين يكتبون على ورق البردي والصنيين على شرائط البومبو والألواح الخشبية، وهناك من كان يستعمل الألواح الطينية وسعف النخيل والعظام وغيرها.

ويرجع الفضل في اكتشاف الورق إلى الصنيين، وذلك عن طريق شخص يدعى تساي لون، حيث تمكن من أن يصنع الورق باستخدام عجينة من لحاء الشجر، وذلك في بداية القرن الثاني للملادي، ثم انتقل إلى كوريا واليابان، ومن الشرق انتقلت صناعة الورق غربا مع قوافل التجارة حتى وصل الورق إلى مدينة سمرقند في إقليم تركستان في منتصف القرن الثامن الميلادي.

لقد عرف العرب صناعة الورق عن طريق سمرقند عندما وصلت فتوحاتهم إلى هناك، وبعد أن وقع في الأسر عدد كبير من الصينيين الذين كانت لهم دراية بطريقة صناعة الورق، فاحتفظ العرب الفاتحون بهؤلاء الأسرى واقتادوهم إلى مدينة سمرقنند، حيث أسسوا بمساعدة هؤلاء الأسرى أول معمل لصناعة الورق، ثم انتقلت صناعة الورق إلى مدينة بغداد في نهاية القرن التاسع الميلادي، ثم انتقلت صناعته إلى دمشق وعرف بالورق الدمشقي، وبعد ذلك انتقلت صناعة الورق إلى مصر واستبدل بالورق البردي، ومنه انتقلت صناعته إلى المغرب الإسلامي، وعن طريق الأندلس انتقل هذا الورق إلى أوربا مثل اسبانيا وايطاليا وفرنسا وألمانيا ثم انجلترا ثم باقي أوروبا ثم أمريكا.

والنتيجة التي نتوصل إليها أنّ العرب والمسلمون لعبوا دور كبير في ازدهار صناعة الورق، كما يرجع لهم الفضل في نقل صناعة الورق إلى أوروبا.

الكلمات المفتاحية: الورق؛ الصناعة؛ العالم الإسلامي.

مقدمة:

تعتبر صناعة الورق عامل هام في تطور العلوم والثقافة، وهذه الصناعة عرفت تطورا عبرا مختلف العصور، وذلك يرجع لعدة عوامل ساهمت في هذا التطور، خاصة وأن هذه الصناعة واكبت توسع الدولة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وأضافت إليها أقاليم، ويظهر ذلك جلي في الدولة العباسية التي وصلت حدودها إلى خراسان.

وسائل الكتابة في العالم القديم قبل ظهور الورق:

لقد تنوعت وسائل الكتابة لدى القدماء، وذلك راجع إلى البيئة التي يعيشون فيها، وتبعا للظروف والتطورات التي مرت بها.

فقد كتب الصينيون على الورق الصيني[1]، المصنوع من الكلأ والحشائش[2]، وكتبت بلاد الروم في الحرير الأبيض والرق وغيره من المواد[3]، وكتبت الهند على النحاس والحجارة وفي الحرير الأبيض[4]، وكتبت بلاد مابين النّهرين في العصور القديمة على الألواح الطفلية المصنوعة من الطين والصلصال[5].

أمّا بلاد فارس فقد كتبت على الجلود والرقاق المدبوغة من جلود الحيوانات، كالأغنام والأبقار والجواميس، خاصة وتوافر مثل هذه الحيوانات لديهم، كما كتبوا أيضا على النحاس والحديد والعسب واللخاف وأكتاف الإبل وعظام الحيوانات)[6].

بداية اكتشاف الورق:

أمّا في الصين فكان الوسيط المستخدم في التسجيل هي شرائح البامبو، وكان عرض كل شريحة لايتسع لأكثر من رمز واحد، وكان طولها لا يتجاوز 20سم، وكان استعمال سيقان البومبو الضيقة في التدوين يجعلها لا تتسع لعدد كبير من الكلمات، لذلك كان النص

1- ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص. 31.

2- القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987 ص. 515.

3- ابن النديم، المصدر السابق، ص. 31.

4- القلقشندي، ج. 2، المصدر السابق، ص. 515.

5- أندري ايمار وجانين أو بواييه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريدم داغرون وآخرون، ج. 1، ط. 2، منشورات عويدات، بيروت، 1986، ص. 127.

6- الجهشياري، المصدر السابق، ص. 138؛ القلقشندي، المصدر السابق، ص. 515.

الطويل يحتاج لعدّة شرائح، ولكي يحفظ الكاتب تتابع الشرائح، كان عليه أن يثقب كل شريحة بثقب من الأعلى ثم ينظمها في خيط واحد.

وقد دعت الحاجة إلى التفكير والبحث عن مادة جديدة للتسجيل عليها تكون أفضل من شرائح البامبو فكان الحرير من الخامات التي عرفتها الصين منذ القدم، فبدا استعماله كوسيط لتدوين الكتب عليه، وكانت هذه الخطوة تقدما كبيرا في هذا المجال، إلا أن الحرير لم يكن لسد حاجة الصين كلها، كما أنه كان غالي الثمن، لذلك أخذ عدد من المهتمين بالطباعة في مختلف أنحاء الصين يعملون جاهدين لاكتشاف وسيط جديد للكتابة عليه، وظلت التجارب مستمرة حتى عام 105م، حيث توصل أحد الباحثين (161) الصينيين ويعمل مديرا للورشات الإمبراطورية ويدعى تساي لوين(توفي سنة 121م) إلى صنع الورق من لحاء الشجر وبعض الحشائش والخرق والشباك القديمة، وقد رفع هذا الشخص تقريرا لإلى العرش بهذا الخصوص عام 105م، وبذلك لم يبقى سواه في التاريخ، في الحين طمست جهود آلاف الحرفيين المجهولين من قبله.

ومنذ ذلك الحين ظهر الورق بوصفه وسيطا مثاليا للتسجيل وتدوين المطبوعات، وقد ظلت الصين تحتفظ لنفسها بسر صناعته طوال سبعة قرون.[1]

المواد التي يصنع منها الكاغد:

أمّا المواد التي كان يصنع منها ذلك النوع من الورق الصيني فقد كان أهل الصين يصنعونه من الحشيش والكلأ[2]، ويرى ابن نديم أن الورق الصيني يعمل من الحشيش الذي امتلأت به بلاد الصين[3].

ويضيف بأن الورق الصيني سيئ والورق الخراساني شيء آخر، فالورق الصيني يصنع من الحشيش، أمّا الورق الخراساني فيصنع من الكتان[4].

والملاحظ أنّ صناعة الورق سوف تعرف تطوّرا، فعندما كان الورق الصيني يصنع بالصين، وعندما كان سرّ صناعته قاصرا عليها فقط كان يصنع من الحشائش، أمّا بعدما

1- عبد اللطيف محمد سليمان، الورق نشأته، المجلد 22، العدد الثاني، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2006، ص. 161، 162.

2- القلشقندي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 515.

3- ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق، المصدر السابق، ص. 22.

4- المصدر نفسه، ص. 22.

انتقل سرّ صناعته إلى سمرقند بخراسان وأصبح يطلق عليه الورق الخراساني بدأ العرب في تصنيعه من الكتان.[1]

المواد المستخدمة في الكتابة في فترة صدر الإسلام:

لقد تنوعت المواد التي استخدمها العرب في الكتابة خلال البعثة النبوية العظمى، ومن هذه المواد التي كان يكتب عليها العرب العُسُّب، ولِخاف، وعظام، وأكتاف، وكرانيف، وأقتاب، ورقاق[2].

- **العُسَّبُ:** وهو جريدة من النخل مستقيمة دقيقة إذا نُحِيَ عنه خوصه.[3]

وهذا يدل على توفر أشجار النخيل، خاصة إذا علمنا أن منطقة الشبه الجزيرة العربية ذات بيئة صحروية وتتوفر على أشجار النخيل بكثرة، وفي الوقت نفسه عدم توفر مواد أخرى للكتابة عليها أو غلائها مثل الرق أو جلود الحيوانات.

على أن النخيل لم يكن فقط مصدرا للعسب، بل ولمواد أخرى من مواد الكتابة منها السُّعف، وهو ما ينبت عليه خوص النخيل، ومنه أيضا كانت الكرانيف[4].

وقد ورد ذكر الكرانيف في بعض الروايات والأحاديث، ففي حديث الزهري جاء فيه "... والقرآن في الكرانيف"، يعني أنه كان مكتوبا عليها قبل جمعه في الصحف[5].

الحجارة واللخاف:

الكثير من البشر يستخدم الصخور أداة للتعبير عن أشياء تشغل فكره واهتمامه، مثل رسم الحيوانات أو كتابة عبارات ترمز إلى مدلولات معينة وغيرها من الرموز والإشارات.

فالواقع التاريخي يقرر بأن العرب لم يكونوا أول من استخدم الحجارة في الكتابة، بل إن استخدام الحجارة في الكتابة كان أمرا شائعا في الحضارات القديمة، فقد استخدمها

1- هالة شاكر، الورق والوراقة في العصر العباسي، ط.1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2004، مصر، ص. 106.

2- القلقشندي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 515.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج. 4، دار المعارف، ص. 4936.

4- هالة شاكر، المرجع السابق، ص. 19.

5- ابن منظور، المصدر السابق، ج. 5، ص. 3864.

المصريون القدماء في تسجيل وتدوين الكثير من مظاهر حياتهم اليومية وتسجيل انتصاراتهم وإنجازاتهم.[1]

وعلى هذه الحضارات القديمة سار العرب أيضا، فاستخدموا الحجارة في الكتابة والتدوين، فسجلوا عليها أوامر وأحكام وخواطرهم ورسائلهم، وذكرى نزولهم في مكان ما[2].

أمّا اللخاف فهو نوع من أنواع الحجارة التي تتسم بالعِرَضْ والرقة[3]، وهي حجارة بيضاء عريضة رقيقة، ومفردها لَخفة[4].

العظام:

تعتبر العظام من المواد الكتابة المعروفة في صدر الإسلام، بحيث أن بعض من آيات القرآن كانت تكتب عليه.

ومن أجزاء العظام التي كانت تكتب عليها نجد الأكتاف والأضلاع، والأكتاف مفردها كَتفْ، وهي عظمٌ عريض يكون في أصل كتف الحيوان خلف المنكب[5].

ويفسر استخدام العرب للعظام في عملية الكتابة هو أنها كانت متوفرة، لأنها تأخذ من الحيوانات المذبوحة، ومن ثم تستغل في عملية الكتابة، خاصة إذا علمنا أن الحيوانات كانت متوفرة بكثرة في بيئة الشبه الجزيرة العربية، مثل الابل والمعز والأغنام، ونحن نعلم أن حرفة الرعي كانت معروفة في المنطقة المذكورة.

الألواح:

تعتبر الألواح من أكثر الوسائل استعمالا لدى العرب، والألواح مفردها اللّوح، وهو كما يذكر ابن منظور كل صحيفة عريضة من صفائح الخشب[6]، ويذكر السيوطي رواية أنه

1- هالة شاكر، المرجع السابق، ص. 20.

2- الجاحظ، الحيوان، ج. 1، ط. 3، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص. 68، 69.

3- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص. 309.

4- ابن منظور، المصدر السابق، ج. 5، ص. 407.

5- المصدر نفسه، ج. 5، ص. 382.

6- ابن منظور، المصدر السابق، ج. 5، 495.

عندما أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن ودعا الناس إلى ذلك فأتوه، فكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب[1].

الجلود والرّق:

ونقصد به جلود الحيوانات بمختلف أنواعها، لأنّها كانت متوفّرة في جميع أنحاء الجزيرة العربية، مثل الإبل والغنم والمعز وغيرها.

والجلود التي استخدمها العرب المسلمون في الكتابة متعددة ومتنوعة، وقد يرجع ذلك التنوع والتعدد إلى طرق التصنيع والإعداد المختلفة، أو ربما إلى مصادر الحصول على الجلود، وعلى أية حال فقد تنوعت الجلود وتعددت مابين رق وأديم وقضيم[2].

يعتبر الرق من المواد الأكثر استعمالا من غيره، وذلك لطول بقائه، وكما يقول القلقشندي: أجمع الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه أو لأنه الموجود عندهم حينئذ[3].

البردي والقراطيس:

وهو من المواد التي كانت شائعة في الكتابة، مع العلم أن القراطيس كانت تصنع من البردي، وهو نبات متعدد الاستعمالات.

وهذا النبات كان ينمو في حضارة مصر الفرعونية، خاصة في منطقة الدلتا في الشمال، أين تكثر المروج والمستنقعات.

وقد استخدمه المصريون القدماء في أغراض عديدة كصناعة الصناديق والسلال والحبال، إلا أن قيمته الحقيقية وأهم استعمال له كان هو صناعة الورق الذي جاء على غرار الورق المعروف لنا الآن، وقد عرف العرب هذا الأخير عن طريق الاتصال التجاري مع مصرقبل الفتح، ثمّ الاتصال المباشر بعد الفتح الإسلامي لمصر في عهد عمر بن الخطاب[4].

1- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1985، ص. 167.

2- هالة شاكر، المرجع السابق، ص. 31.

3- القلشقندي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 515.

4- هالة شاكر، المرجع السابق، ص. 40.

المهارق:

وهو نوع من مواد الكتابة، إلاّ أنّ مادتها تختلف عما سبق من مواد الكتابة، فمادتها القماش[1].

هذه مجمل مواد الكتابة، التي استخدمها العرب في الكتابة، وهي مرتبطة بالبيئة العربية الغنية بها، وذلك لسهولة الحصول عليها.

وصول صناعة الورق إلى العرب:

في سنة 134هـ./ 751م. نشبت معركة بين الصين والعرب الذين كانوا قد وصلوا في فتوحاتهم حتى سمرقند التي فُتِحَتْ من قبل القائد الإسلامي قتيبة بن مسلم الباهلي في عام 93هـ./ 712م، ويسجل التاريخ أن زياد بن صالح الحارثي القائد العربي، استطاع أن يأسر قرابة عشرين ألفا من المحاربين الصينيين في معركة تالاس المشهورة، وعندما أراد المسلمون بيعهم عبيدا محترفي الصنعة اتضح لهم أن من بين هؤلاء الأسرى من بارعا في صناعة الورق وخبيرا فيها، فقامت على عاتق هؤلاء الأسرى صناعة الورق في سمرقند، ولم تلبث أن انتقلت إلى العالم العربي، فكانت أن أقيمت في البلاد صناعة الورق نشيطة كلّ النشاط، وركّزت الجهود على تحسينها وترقيتها، وتعلم العرب طريقة ضرب الكتان وصنع عجينة منه تتحول إلى أوراق رقيقة جدا، وسرعان ماحل القطن محل الكتان، لكنه كان أقل كلفة وأكثر انتشارا في الشرق، فغمر الورق الإمبراطورية الإسلامية كلها حتى العاصمة بغداد، حيث احتُفِل بنجاحه بعد أن انطلق من سمرقند وهكذا كُشِف الستار عن سر هذه الصناعة الصينية المهمة.[2]

أدرك الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (754م–775م) قيمة هذه المادة الجديدة للكتابة نظرا لاستهلاك علمائه وكتبته كميات كبيرة منها في وزارته، ومجامعه العلمية، ورواجه عند التجار والموظفين، وأدرك أنه بوسعه عن طريق هذه المادة الجديدة أن يتحرر من ربقة استيراد ورق بردي من مصر، لذلك حرّم على دوائر دولته استعمال (162) ورق البردي إذاك، وأمر باستعمال الورق الرخيص فقط لأغراض الكتابة. وأمّا في ظلّ حكم حفيده هارون الرشيد (786–809) فقد ثبتت مكانة هذا الاختراع الجديد، الأمر الذي حدا بوزيره

1– هالة شاكر، المرجع السابق، ص. 59.

2– الحضارة العربية، جاك رسلز، ترجمة خليل أحمد خليل، ط. 1، منشورات عويدات، لبنان، 1993، ص. 126.

البرمكي الفضل بن يحي أن يبني أول مصنع للورق في بغداد عام 178هـ./ 794م، وأقرّ أخوه جعفر البرمكي استخدام الورق في الدواوين عوضا عن الرقوق، وسار موكب صناعة الورق هذا مطوفًا بسورية، حيث ترك ورائه في دمشق وطرابلس مصانعه، ماراً بفلسطين ومصر التي عرفته عام 184هـ/800م، لينطلق منها إلى الغرب، إلى تونس ومراكش ومنها إلى اسبانية[1].

والنتيجة التي نتوصل إليها هي أن كثرة التأليف في العلوم الدينية والدنيوية في القرن الثاني الهجري، خاصة إذا علمنا أن هذا العصر معروف أنه عصر التدوين للعلوم من فقه وأصول الفقه وغيرهما، وبالتالي نشطت صناعة الورق وظهور حرفة الوراقين بشكل جلي.

أنواع الورق:

وقد تعدّدت أنواع الورق في بقاع الدولة الإسلامية فكان هناك الطلحي والنوحي والجعفري والفرعوني والطاهري، وذلك نسبتا إلى أسماء صانعيه، وأدى ذلك إلى تسهيل إنتاج الكتب بطريقة كبيرة، وفي أقل من قرن من الزمن أنتج المسلمون مئات الآلاف من نسخ الكتب التي ازدانت بها مئات المكتبات العامة والخاصة في كل أرجاء العالم من الصين شرقا إلى الأندلس غربا[2].

دور العرب في صناعة الورق ونشره في المعمورة:

لقد ادخل المسلمون الورق إلى أوروبا عن طريق الأندلس، وقد كان الأوروبيون قبل ذلك الوقت يكتبون على الرقوق من جلود الحيوانات بل اعتاد الرهبان على حكّ مؤلفات عظماء اليونان المدوّنة على الرقاق ليكتبوا بدلا منها مواعظهم الدينية مما أدى إلى ضياع الكثير من تراث اليونان العلمي والثقافي.

ومن عرب صقلية والأندلس تعرفت بلاد الغرب على هذه المادة الكثيرة النفع، التي هي في الحقيقة إحدى دعائم الثقافة والحياة الروحية.[3]

وقد وصل هذا الورق إلى إسبانيا عام 339هـ/950م، أما أول مصنع للورق أنشأ فيها فكان في مدينة فلنسية قرابة عام 493هـ/1100م، ثمّ تدهورت هذه الصناعة في اسبانيا وانتقلت

1- عبد اللطيف محمد سليمان، المرجع السابق، المجلد 22، العدد الثاني، ص. 162.

2- نفسه، ص. 163.

3- نفسه.

بعدها إلى إيطاليا، التي وصلها الورق في عام 539هـ/1145م، وقد تأسس أول مصنع لهذا الغرض فيها في مدينة فبريانو قرابة العام 675هـ/1276م، ثم انشأ مصنع آخر في بادوا عام 740هـ/1340م، ثمّ قامت مصانع أخرى عديدة في ترفير وفلورنسا وبولونيا وبارما وميلانو والبندقية.

أمّا تركيا (بيزنطا سابقا) فقد وصل الورق إليها أولا إلى مدينة القسطنطنية عام 493هـ/1100م، وإلى صقلية عام 496هـ/1102م، وإلى ألمانيا عام 625هـ/1228م، ولكن أول مصنع أنشأ فيها كان في مدينة ماينز عام 720هـ/1320م، وتبعه مصنع آخر في مدينة نورم بورغ عام 709هـ/1392م، أما انجلترا التي وصلها الورق أوّل مرّة في[1] عام 707هـ/1307م، فقد تأخرت صناعة الورق فيها عن بقية الدول الأوروبية قرابة المائة عام، وكان إنشاء أول مصنع للورق فيها يعود لعام 900هـ/1495م، وخلال القرن الخامس عشر الميلادي حلّ الورق محلّ الرقوق الجلدية في الكتابة في أوروبا، في الحين دخلت صناعة الورق إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد أنشأ أول مصنع في أمريكا عام 1690م[2].

أجل لقد فتح ورق العرب هذا عصرا جديدا، ويسّر هذا الاختراع تأليف الكتب في كل بلد انتقل إليه، ويقول اليعقوبي" أنه كان في بغداد على أيامه عام 277هـ/891م أكثر مائة بائع للكتب، كانت حوانيتهم تستخدم فضلا عن بيع الكتب لنسخها وكتابة الخط المزخرف، كما كانت تستخدم للندوات الأدبية

مراكز تصنيع الكاغد أو الورق:

بعد أن انتشرت صناعة الورق في بغداد امتدت إلى مناطق أخرى من البلاد الإسلامية، كما ذكر نصر خسرو، الذي زار لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، إلى قيام صناعة الكاغد بطرابلس" ويصنعون بها الورق الجميل مثل الورق السمرقندي بل وأحسن منه"[3].

1- عبد اللطيف محمد سليمان، المرجع السابق، ص. 164.

2- نفسه، ص. 165.

3- ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحي الخشاب، مطبوعات البنك العربي الدولي للمعلومات، بدون تاريخ، ص. 48.

على أنّه لا يفهم من ذلك أنّ الكاغد اقتصر فقط على ذوي الجاه والسلطان بل إن الكاغد بعدما تم تصنيعه في أنحاء شتى من العالم الإسلامي، أصبح أيضا من أدوات العلماء والعامة وطلاب العلم والكتاب والتجار والوراقين وغير ذلك من فئات العامة[1].

مع العلم أنّ بلاد الشام سبقت غيرها من الأقطار العربية في المجال العلوم العقلية[2].

أنواع الورق:

أمّا عن أنواع الورق الخرساني الذي يصنع من الكتان على غرار الورق الصيني والسليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري والطاهري[3].

وهناك أنواع أخرى ذكرها السمعاني مثل الكاغد المنصوري والكاغد الحسني[4].

كما يذكر القلقشندي نوع من الورق أعلى أجناس وهو الورق البغدادي[5]، وكذلك الورق الشامي، وهو أقل من الورق البغدادي حجما ومكانة أيضا[6].

كما يذكر القلقشندي ورق أهل الغرب والفرنجة، وهو أقل أنواع الورق مكانة، وهو رديء جدا سريع البلى قليل المكث، ولذلك يكتبون المصاحف غالبا في الرق، على العادة الأولى طلبا لطول البقاء[7].

وخلاصة القول أنّ سبب استخدام الورق عن غيرهم من وسائل الكتابة يرجع أساسا إلى أن الورق مادة رخيسة وسهلة الحصول عليها. وملائمة هذه المادة للكتابة، على عكس الرق والبردي فهي مواد مكلفة وغير ملائمة للكتابة.

1- هالة شاكر، المرجع السابق، ص. 117، 118.

2- أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ط3، مطبعة جوهر الشام، دار دمشق للنشر، سوريا، 1994، ص. 335.

3- ابن النديم، الفهرست، المصدر السابق، ص. 32.

4- السمعاني، الأنساب، تقديم عبد الله عمر البارودي،ج. 5، ط. 1، دار الجنان، لبنان، 1988، ص. 19.

5- القلقشندي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 516.

6- نفسه، ص. 516.

7- نفسه.

الآثار الاقتصادية والثقافية للورق والوراقة:

من الآثار التي تمخضت عن صناعة الورق هي:

أسواق الوراقين:

باعتبار مدينة بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وظهرت بها صناعة الورق لأول مرة، نتج عنه إنشاء أسواق الوراقين، حيث ذكر الخطيب البغدادي أن محمد بن المظفر بن موسى بن عيسى البزاز كان له
كتب وأصول في الوراقين–أي في سوق الوراقين[1].

وكما ذكر ياقوت الحموي في إطار ترجمته لأبي الفرج الأصفهاني(ولد في عام 284هـ وتوفي عام 356هـ.، وهو أصفهاني الأصل، بغدادي المنشأ، له مؤلفات عظيمة، أشهرها الأغاني[2]، أنّه كان جالسا مع أحد العلماء في دكان في سوق الوراقين[3]، وهذا تأكيدا على وجود سوق الوراقين في مدينة بغداد.

أمّا عن طبيعة الأعمال التي كان دكاكين الوراقين مسرحا لها هو أنها مركز لبيع الكتب والورق، بل أكثر من ذلك، إذ كانت ملتقى للعلماء والأدباء والفقهاء، وكانت مكان للمناظرات والمناقشات، وقد أشار ابن القفطي إلى شيء من هذا القبيل، عندما ترجم لأبي عبد الله بن هانئ الأزدي المتوفى عام 230هـ إذ قال:" أنه كان له دكان ببغداد يورق فيه ويجتمع إليه عامة أهل الأدب، ويحصل فيه بينهم من المحاضرة والمذاكرة مالا يحصل في غيره من أندية الأدب"[4].

ومن نتائج حركة الوراقة إنشاء المكتبات وخزائن الكتب، منها دار الحكمة التي أنشأت في عهد هارون الرشيد، وكما يقول القلقشندي في هذا الصدد "... وقد كان للخلفاء والملوك في القديم بها مزيد اهتمام وكمال واعتناء، حتى حصلوا فيها على العدد الجمّ، وحصلوا على الخزائن الجليلة، ويقال أنّ أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاثة خزائن، إحداها خزانة العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب مالا يحصى ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك

1– الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج. 1، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ص. 7.

2– ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج. 3، ط. 3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بنان، 1980، ص. 307.

3– ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج. 3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1990، ص. 112.

4– ابن القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، أنباء الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج. 2، ط. 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص. 134.

إلى أن داهمت التّتار بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها وضاعت آثارها"[1].

ترى المستشرقة زيغريد هونكة أن "تاجر الكتب لم يُعرف كوسيط لنقل الثقافة ومتاجر الكتب كمراكز للثقافة في المدينة قبل أن يفعل العرب...وفي سوق الكتب عند بوابة البصرة ببغداد التي كانت تضم أكثر من مئة متجر كان المتعلمون في كل أنحاء العالم الإسلامي يجتمعون، هنا يفتش الفيلسوف والشاعر والفلكي عما صدر حديثا من الكتب، وهنا ينقب الطبيب والمؤرخ وجامع الكتب عن النسخ القديمة، وهنا وهناك يتناقشون جميعا ويتبادلون المعرفة أو تقرأ عليهم برمتهم مقتطفات ممّا كتب[2].

هذا ولم تقتصر خزائن الكتب على بغداد بل امتدت إلى مناطق أخرى من أراضي الدولة الإسلامية منها منطقة الشام والبصرة وغيرها، وهذا شيء حتمي باعتبار أنّ صناعة الورق امتدت إلى مختلف المناطق، وهذا يدل على أهمية صناعة الورق والوراقين في ازدهار العلوم.

ومن النتائج أيضا ازدهار الترجمة من اللغات الأخرى، وأول من تنبه لهذا الخليفة أبو جعفر المنصور الذي بعث إلى ملك الروم يسأله أن يبعث إليه بكتاب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات[3].

كما قام بعث الخليفة عبد الله المأمون إلى ملك الروم يسأله استخراج علوم اليونانيين واستنساخها بالخط العربي، وبعث له المترجمين لذلك، كما سأله انفاذ ما يختار من الكتب القديمة المخزونة بالروم فأجابه إلى ذلك بعد امتناع، وأخرج المأمون جماعة لذلك منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة فأخذوا ما اختاروا وحملوه إليهم فأمرهم بنقله...[4].

1- القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص. 537.

2- هونكة زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، ط. 9، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1991، ص. 390.

3- حاجي خليفة، كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين، ج.1، جامعة اسطنبول، ص. 679.

4- حاجي خليفة، نفس المصدر، ج. 1، ص. 681.

إنّ الورق يعتبر أحد العوامل الهامة التي عملت عملها ليس في ازدهار حركة الترجمة فحسب بل وفي كل الجوانب الثقافية المتعلقة بهذه الحركة، سواء أكان ذلك في التأليف والنسخ أو في كتابة علوم ومعارف.

المصنفات المترجمة من مصادرها المختلفة إلى اللغة العربية، الأمر الذي ترتب عليه اتساع دائرة هذه الحركة العلمية وما تمخضت عنه من نتائج كثيرة ظهرت آثارها فيما بعد في شتى مضامير العلوم والآداب والفنون، كما أن الورق ساهم منذ وقت مبكر في تيسير معظم أعمال هذه الحركة[1].

إنّ انتشار استعمال الورق في هذا العصر(عصر البرامكة)كان أحد العوامل وراء ذلك الازدهار الكبير الذي تمتعت به حركة الترجمة في هذا الوقت نظرا للسهولة التي كانت تتم بها كتابة المادة المترجمة[2].

وخلاصة القول أن ازدهار الحضارة العربية الإسلامية واكب ظهور صناعة الورق، وهو دليل على مساهمة الورق في هذا المجال، خاصة في مجال العلوم والثقافة، وحتى في ميدان الاقتصاد حيث نمت التجارة والبيع والشراء.

1- رشيد حسن الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري، ط1، دار الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، ليبيا، 1982، ص. 53، 54.

2- حركة الترجمة في المشرق، ص. 84؛ ولقد كان للوراقين الدور الهام في نشر رسائل إخوان الصفا وغيرها، تعميما للمعرفة (خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة الإسلامية، المجلد الأول، ج. 1، ط. 1، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2011، ص. 232.

البيبليوغرافيا:

أولا- المصادر:

- ابن القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، أنباء الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج.2، ط. 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.
- ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج. 3، ط. 3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بنان، 1980.
- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص. 309.
- الجاحظ، الحيوان، ج. 1، ط. 3، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص. 68، 69.
- الجهشياري،
- الحضارة العربية، جاك رسلز، ترجمة خليل أحمد خليل، ط. 1، منشورات عويدات، لبنان، 1993.
- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج. 1، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ.
- السمعاني، الأنساب، تقديم عبد الله عمر البارودي،ج. 5، ط. 1، دار الجنان، لبنان، 1988.
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1985.
- القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987.
- أندري ايمار وجانين أو بوابيه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريدم داغرون وآخرون، ج. 1، ط. 2، منشورات عويدات، بيروت، 1986.
- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج. 3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1990.

ثانيا- المراجع:

- أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ط3، مطبعة جوهر الشام، دار دمشق للنشر، سوريا، 1994.
- حاجي خليفة، كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين، ج.1، جامعة اسطنبول، بدون تاريخ.
- حركة الترجمة في المشرق.
- خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة الإسلامية، المجلد الأول، ج. 1، ط. 1، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2011.
- رشيد حسن الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري، ط1، دار الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، ليبيا، 1982.
- عبد اللطيف محمد سليمان، الورق نشأته، المجلد 22، العدد الثاني، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2006.
- ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحي الخشاب، مطبوعات البنك العربي الدولي للمعلومات، بدون تاريخ.
- هالة شاكر، الورق والوراقة في العصر العباسي، ط.1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2004.
- هونكة زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، ط. 9، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1991.